الدرس 2 : الثورة البلشفية ونشأة الإتحاد السوفييتي

المقدمة : أدّت مشاركة روسيا في الحرب العالميّة الأولى إلى مزيد تعميق أزمة المجتمع الروسي واندلاع الثورة التي أطاحت بنظام القياصرة وقيام أوّل نظام اشتراكي شيوعي مناهض للنظام " الرأسمالي ".

I – أسباب الثورة:

❶أزمة المجتمع الروسي قبيل الثورة :

أ * اضطهاد القوميات غير الروسية :

تتكوّن الإمبراطورية الروسية من " فسيفساء قوميّات " تخضع كلّها لهيمنة الثقافة الروسيّة وتعاني من الاضطهاد السياسي والثقافي من خلال إقصائها عن المشاركة في الحياة السياسية وفرض اللغة والعادات والديانة الروسية. وقمع كلّ الحركات الانفصالية.

ب * التخلف الاقتصادي والتأزم الاجتماعي :

- كانت روسيا إلى حدود 1917 بلدا فلاحيّا تقليديا ولم تتحقّق ثورتها الصناعية كما بقي التصنيع محدودا :

*** في الأرياف:** لم تستفد فئة الفلاّحين من إلغاء نظام القنانة . كما ساءت أوضاع المزارعين الصغار والفلاحين بدون أرض نتيجة استغلال كبار الملاكين "الكولاك". وارتفاع قيمة الجباية.

*** في المدن:** تدنّت أوضاع العمّال بسبب ارتفاع الأسعار وبقاء الأجور منخفضة إضافة إلى طول ساعات العمل وغياب الضمانات الاجتماعية .لكن ذلك لم يمنع من نموّ الوعي العمالي والطبقي والانخراط في النضال الاجتماعي والسياسي.

ج * تحجر النظام القيصري وتنامي قوى المعارضة:

اعتمد القيصر نيكولا II نظاما " أوتوقراطيا " يرفض أيّ إصلاح . حتّى أنّ مجلس الدوما الذي تأسس سنة 1905 سرعان ما يقوم القيصر بحلّه كلّما حاول اتخاذ أيّ قرار يمسّ من سلطته أو من امتيازات النبلاء والكنيسة رغم ذلك لقي معارضة شديدة تمثلت في :

- **المعارضة الليبراليّة** : تضمّ البورجوازيّة والأرستقراطية التحررية وتطالب بإقامة نظام دستوري برلماني .
- **المعارضة الاشتراكيّة**: قاعدتها المثقفون والفلاحون والعمّال وانقسمت إلى جزأين: وهما الاشتراكيون الثوريون والاشتراكيون الديمقراطيون الذي ينقسم بدوره إلى:

المنشيفيك : أقليّة تطالب بتأجيل الثورة والتحالف مع الليبراليين.

البلشيفيك : أغلبيّة قادها لينين آمنت بإمكانية الثورة اعتمادا على العمّال والمزارعين.

❷ المشاركة في الحرب تفجّر تناقضات المجتمع الروسي: (السبب المباشر)

- ساهمت الحرب في تدهور الأوضاع الداخليّة حيث انهار الإنتاج الفلاحي وارتفعت الأسعار بصفة مشطّة واضطرب توزيع المواد الغذائيّة على المدن وجبهات القتال وهو ما أدى إلى تفاقم الفقر وانتشار المجاعة وتعدّدت الإضرابات وعمليات السطو على المخابز .
- تزامن ذلك مع هزائم الجيش الروسي وهو ما أدى إلى تمرّد الجنود وتزايد عدد الفارّين من الجبهات. رغم ذلك واصل النظام القيصري تصلّبه ورفض نداءات الليبراليين تكوين مجلس تأسيسي وحكومة ائتلافية تاركا تسيير الإدارة لزوجته ألكسندرا والمشعوذ رسبوتين.

II– مراحل الثورة والصعوبات التي واجهتها:

❶ مراحل الثورة :"من الثورة الليبرالية إلى الاشتراكية":

أ * ثورة فيفري 1917: سقوط النظام القيصري وقيام الحكومة المؤقتة

- عمّت موجة من الإضرابات العمالية مدينة بيتروغراد تعبيرا عن سخطها على تردّي الأوضاع
- تحوّل الإضرابات إلى مظاهرات تطالب بإقالة النظام القيصري
- انضمام الجنود المتمرّدين إلى الحركات العمالية وسقوط بيتروغراد بيد الثوار
- تشكيل لجنة من مجلس الدّوما من الليبراليين في الأثناء كوّن العمال والجنود مجالس السوفياتات
- في مارس 1917 أجبر القيصر على الاستقالة وتكوّنت حكومة مؤقّتة يرأسها الأمير لفوف يسيطر عليها الليبراليون . لكنّها قرّرت مواصلة الحرب وتأجيل الإصلاحات

ب * ثورة أكتوبر 1917: انتزاع السلطة من طرف البلاشفة

- قدّم لينين برنامجا (مقولات أفريل) يستجيب لطموحات الجماهير "الأرض للفلاحين الخبز للجائعين والسلطة للسوفياتات
- يوم 24 أكتوبر 1917 تمكّن البلاشفة من السيطرة على أهم المواقع الإستراتيجية في بيتروغراد فتمّت الإطاحة بالحكومة المؤقتة وانتقال السلطة إلى السوفياتات .

- سارعت الحكومة الجديدة إلى إرساء النظام الاشتراكي وذلك بـ :
- تأميم أراضي النبلاء ورجال الكنيسة وعائلة القيصر وتوزيعها على الفلاحين
- تأميم المصانع والبنوك والمصالح الأجنبية
- إعلان المساواة بين القوميات ومنحها حقّ تقرير مصيرها
- الانسحاب من الحرب وتوقيع معاهدة صلح " براست ليتوفسك " مارس 1918 مع ألمانيا مقابل تنازلات قاسية.

❷ تحديات الثورة ومواجهتها:

أ * الحرب الأهلية و "شيوعية الحرب":(1918 – 1921)

- قاد أنصار النظام القيصري والقوى المعارضة من ليبراليين واشتراكيين مدعومين من الدول الأوروبية الغربية ثورة مضادّة (الجيوش البيضاء) لمنع تسرّب الثورة إلى أوروبا
- تمكّن البلاشفة من الصمود باعتماد سياسة شيوعية الحرب بتسخير كل الإمكانات البشرية والاقتصادية للثورة بمصادرة فائض الإنتاج الفلاحي و إقرار العمل الإجباري كما نجح ترو تسكي في إعادة تنظيم الجيش الأحمر

⬅ مكنت هذه الإجراءات من إنقاذ الثورة وإجبار القوات الأجنبية على الانسحاب لكنها خلفت وضعا اقتصاديا واجتماعيا مترديا مما دفع البلاشفة إلى التخلي عن سياسة "شيوعية الحرب" وانتهاج "سياسة اقتصادية جديدة".

ب * السياسة الاقتصادية الجديدة: (1921 – 1927)

- هي رجوع مؤقّت ومحدود إلى الرأسمالية بإلغاء مصادرة فوائض الإنتاج ومنح الفلاحين والتجار والمستثمرين مزيدا من الحرية

⬅ مكنت هذه السياسة من انتعاش الوضع الاقتصادي وتخفيف التوتر الاجتماعي لكن أدّت إلى ظهور الكولاك من جديد بالأرياف والنيبمان بالمدن . فاشتدّ الخلاف بين قادة الثورة خاصة تروتسكي و ستالين .فنجح هذا الأخير في إزاحة خصمه وإنهاء العمل بهذه السياسة سنة 1927 والانصراف نحو بناءالمجتمع الاشتراكي.

III- ملامح النظام السوفيتي الجديد:

❶ الملامح السياسية:

- نشأ اتحاد الجمهوريات الاشتراكيّة السوفيتية في ديسمبر 1922 وتدرّج من 4 جمهوريات إلى 15 جمهورية سنة 1940
- .اعتمد نظاما فيدراليا أعطى الجمهوريات حرية داخلية في المقابل احتفظ الاتحاد بالسياسة الخارجية والدفاعية والاقتصادية
- أقرّ الدستور الفدرالي المساواة بين الجمهوريات وحقّها في الانضمام أو الانسلاخ من الاتحاد .وأعطى القوميات صلاحيات اجتماعية كالحفاظ على لغاتها وثقافاتها.
- اعتمد النظام على ديكتاتورية البروليتاريا وهي حكم الأغلبيّة من الكادحين وتمارس بواسطة السوفياتات (مجالس العمّال والجنود والفلاحين) من القاعدة إلى القمة لينبثق عنها مجلس السوفيات الأعلى ومجلس مفوضي الشعب .
- كما اعتمد النظام على الحزب الشيوعي البلشفي الذي أصبح الحزب الوحيد منذ 1918 وقد تولّى أمانته العامّة " جوزيف ستالين " منذ 1922 واعتمد ستالين سياسة ديكتاتوريّة قلّصت من الديمقراطيّة داخل الحزب .

❷ الملامح الاقتصادية:

- ارتكز النظام الشيوعي على مبدأ التأميم وإلغاء الملكية الخاصة في كلّ المجالات وتعويضها بالملكية الاشتراكية .
- في الفلاحة وقع تجميع الأراضي في إطار نوعين من الوحدات الإنتاجية السوفخوزات (ضيعات الدولة) و الكولخوزات (تعاونيات فلاحيّة تستغل بصفة جماعية مع قطعة أرض صغيرة بصفة فردية).
- شمل التأميم أيضا كامل القطاع الصناعي والمالي والتجاري.
- اعتمدت السياسة الاقتصادية مخطّطات خماسيّة إلزامية منذ 1928 وتميّزت بشموليتها (اقتصاديّة, اجتماعيّة, ثقافيّ...) وتهدف إلى تحويل الاتحاد السوفيتي من بلد فلاحي ضعيف إلى قوّة صناعيّة بالتركيز على التصنيع الثقيل.

⬅ مكنت هذه الجهود الاتحاد السوفيتي من أن يصبح قوة صناعية كبرى في العالم قبيل الحرب العالمية الثانية

❸ الملامح الاجتماعية: بناء المجتمع الاشتراكي:

- سعت الدولة إلى تكريس المذهب الماركسي ومن أهدافه القضاء على الفوارق الطبقيّة وتدعيم البروليتاريا
- تحصّل العمال على عديد المكاسب (تخفيض ساعات العمل,زيادة الأجر والضمانات الاجتماعية...).
- تحصل المرأة على المساواة مع الرجل وتدعمت مكانتها في الإنتاج الاقتصادي 40 % من مجموع العمّال .
- أصبح التعليم إجباريا ومجانيا واتخذت الأحوال الشخصية طابعا لائكيا .

خاتمة: تعتبر الثورة البلشفيّة أوّل ثورة اشتراكيّة في العالم حوّلت الاتحاد السوفيتي إلى قوّة اقتصاديّة وعسكريّة عظمى وكانت سندا لحركات التحرّر في المستعمرات .